مشوار لوادي فينان في وادي عربة

أ.د. زيدان عبدالكافي كفافي

2020 /3 /20

مشوار لوادي فينان في وادي عربة

زيدان كفافي

أولى جلالة الملك عبدالله الثاني منطقة جنوبي الأردن، ومنها وادي عربة جل اهتمامه، إذ زار المنطقة عدة مرات واجتمع مع المسؤولين فيها وأكد جلالته على أهمية وضرورة التعاون مع أبناء وادي عربة، خاصة فيما يتعلق بالاستثمارات التي ستقام في المنطقة وفائدتها على المجتمع المحلي هناك. وبالفعل من يزور المنطقة يرى أنها بحاجة إلى مزيد من الاهتمام في جميع النواحي، خاصة السياحية، والاستثمار في التعدين والزراعة.

عند دراستنا لجغرافية الأردن، وخاصة منطقة وادي عربة ، نميل إلى الإعتقاد بأن المنطقة معزولة جغرافياً عن غيرها من المناطق المحيطة بها، وأنها مليئة بالرمال، وتندر فيها وسائل الحياة. لكن من يزور هذه المنطقة يعرف أن الأمر غير ذلك، إذ أن الناس عاشوا ويعيشون فيها على الدوام وأن جميع وسائل الحياة متوفرة فيها. وحيث أن المنطقة خضعت لكثير من الأبحاث الأثرية، كان لا بد من زيارتها للتعرف على آثارها عن قرب ، وهكذا كان. قمنا يوم السبت الموافق ٧ آذار ٢٠٢٠م برفقة كل من الدكتورة ميسون النهار من الجامعة الأردنية والدكتور بيل فنليسون والدكتور سام سمث البريطانيين من أكسفورد بالتوجه من عمّان إلى وادي فينان، ووجدنا أن الأمر في الطبيعة مختلف جداً عما يعتقده الناس من أن المنطقة لا تصلح كثيراً للحياة.

واقع الأمر لم يكن سبب الزيارة فقط للتعرف على المنطقة، لكن بالمقام الأول الاطلاع على البرنامج التدريبي الذي يعقد لعدد من الطلبة والخريجين في تخصص الآثار في دراسات عصور ما قبل التاريخ، من جامعة اليرموك خاصة. انطلقت بنا السيارة من عمّان متجهة إلى وادي فينان حيث تعقد الدورة التدريبية، وكان الجو ضبابياً، خاصة في منطقة مرج الحمام، وبقي الأمر على حاله خاصة بعد أن مررنا بعدد من التحويلات نتيجة لتحويل الطريق نتيجة لتحديد مسارات الباص السريع، وظل الضباب يغطي المنطقة حتى هبطت بنا السيارة إلى منطقة الأغوار. وكانت ميسون وعلى طول طريق مرج الحمام تؤشر لنا على مساكن أهلها وأقاربها في المنطقة، وتؤكد وهي مبتسمة أنها أحلى منطقة في الدنيا، وكأنها تسترجع ماضي طفولتها.

وبعد أن قطعنا الإشارة الضوئية التي تؤدي إلى بلدة الشونه الجنوبية متجهين إلى البحر الميت، أشار الدكتور بل فينليسون إلى منطقة لا تبعد كثيراً عن جنوبي الشارع الرئيسي إلى موقع تليلات الغسول، وذكر أن هذا الموقع تعرض قبل مدة إلى التجريف، وكالعادة أسفنا للوضع.

وبعد أن قطعنا مسافة غير بعيدة، قرأنا عدداً من الإشارات المؤدية إلى المغطس وأخرى إلى مدينة أريحا، وكأن الإشارات تؤشر على العلاقة الأبدية بين ضفتي النهر. وبإعتقادي أن السيد المسيح هو من جماعة الطائفة اليهودية الأسينية الذين عاشوا على ضفة البحر الميت الغربية، وأنه عُمِّد في منطقة وادي الخرار. مررنا خلال الرحلة بمنطقة الفنادق ومنطقة زارة حيث تواجد جمع من الناس يستحمون بالمياه الساخنة، ومن ثم وصلنا إلى منطقة لسان البحر الميت حيث تراجعت مياه الجزء الجنوبي منه مما حدا بالمسؤولين إلى ضخ المياه من جزءه الشمالي للجنوبي حتى لا تتعطل أعمال شركة البوتاس العربية. وبعد أن التقطنا عدداً من الصور التي تبين جفاف الجزء الجنوبي، وخطورة المنطقة الجافة بسبب تركها لتجاويف في باطن الأرض فتشكل خطر ابتلاع من يدوس فوقها. ويتواجد في منطقة اللسان موقع أثري هام ، هو «باب الذراع» يعود للعصر البرونزي المبكر (حوالي ٣٦٠٠ - ٢٠٠٠ قبل الميلاد). وينطبق الحال على وادي «النميرة»

والـذي كشـفت بعثـة أمريكيـة فيـه عـن بلـدة مسـورة كبيـرة تعـود أيضـاً للعصـر البرونـزي المبكـر الثالـث (حوالـي ٢٧٠٠ - ٢٤٠٠ قبـل الميـلاد).

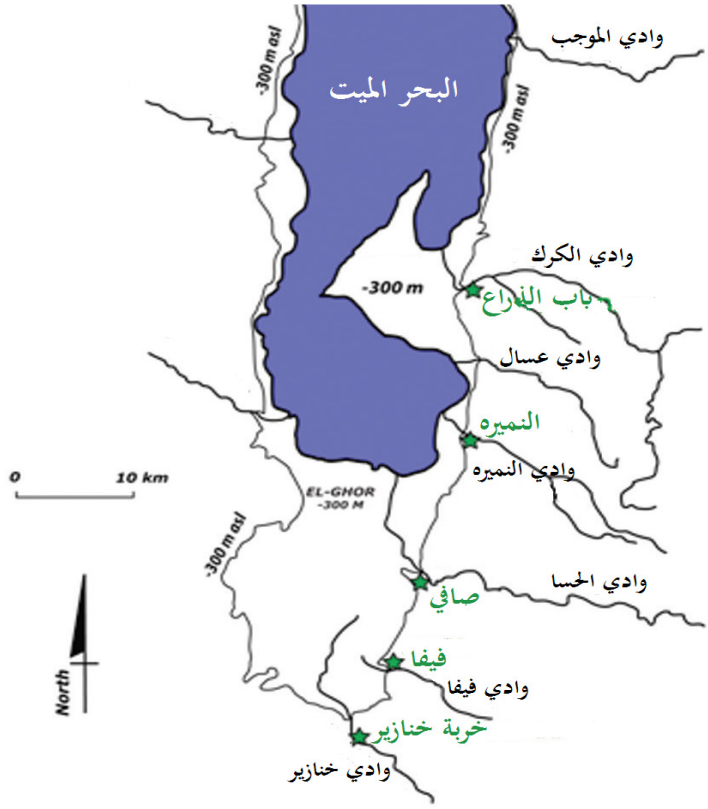

وصلنا إلـى غـور حديثـه، حيـث المـزارع الخضـراء التـي أضفـت جمـالاً بهيـاً علـى المنطقـة، ورأينـا أصحـاب المـزارع يعرضـون بضائعهـم علـى قارعـة الطريـق. استمرت السـيارة بالمسـير فمررنـا بأغـوار المزرعـة والصافـي، وكان حالهمـا كحـال غـور حديثـه مـن حيـث خضـرة المنطقـة وجمالهـا. ويتواجـد فـي منطقـة الصافـي عـدد مـن المواقـع الأثريـة الهامـة، نذكـر منهـا: مغـارة لـوط، معاصـر السـكر مـن الفتـرة الأيوبية/المملوكيـة، كمـا بنـت الدولـة هنـاك متحفـاً أطلقت عليـة «متحف أخفـض بقعـة فـي العالـم». وللأسـف أن عـدد الزائريـن لهـذ المتحـف قليـل جـداً، ونتمنـى أن يكـون لـه حـظ مـن الزيـارات الخاصـة والمدرسـية.

وصلنا بعدها إلى منطقة «غويبه» حيث تسكن قبيلة العزازمه، ثم واصلنا السير حتى دخلنا بلدة «قريقره»، حيث تسكن قبائل العمارين، والسعيديين. انطلقنا من وسط بلدة «قريقره» متجهين إلى وادي فينان، حيث نقصد، فمررنا بمدرسة البلدة ومركزها الصحي، وعلمت أن سكان فينان هم من قبيلة «الرشايده». وبعد أن توقفت بنا السيارة أمام نزل فينان، زلفنا إلى داخل البناء، وجدنا أنه وعلى بساطته يسهل للزائر الإقامة فيه، وقضاء بعض الأيام هناك.

نُزُل الدكتور محمد النجار في وادي فينان

وبعد أن شربنا الشاي قرر أربعتنا التحرك، وحيث أن السيارات الصغيرة لا تصلح للسير على أرض وادي فينان، كان لا بد من استبدال سيارتنا الصغيرة بأخرى تستطيع السير داخل الوادي، ويتوفر منها في بلد فينان عدد لا بأس به، فجاء باص من نوع فان يقوده السائق أبومحمد الرشايده، وهو جندي متقاعد. وأبو محمد شخص دائم البسمة، ويعرف المنطقة كما يعرف باطن وظاهر يده، كذلك يحفظ أسماء الأشخاص والبعثات الأثرية التي تعمل وعملت في المنطقة.

بصحبة السيد أبي محمد الرشايده

يقع وادي فينان في الجهة الشرقية لوادي عربة في منتصف المسافة بين البحر الميت والبحر الأحمر. وتعدّ منطقة وادي عربة من أغنى المناطق العالمية بخامات النحاس، إذ تغطي مساحة قدرها ٥٠٠ كيلومتر مربع. والمنطقة مليئة بمناجم النحاس التي حفرها الناس من عصور ما قبل التاريخ (العصر الحجري النحاسي، حوالي ٤٥٠٠ - ٣٥٠٠ قبل الميلاد) وحتى نهاية الفترة البيزنطية (حوالي ٦٣٦ ميلادية) وبلغ عددها ٢٥٠ موقعاً، وبعد توقف قصير أعيد استخراج خامات النحاس من المنطقة في الفترة الأيوبية/المملوكية (القرن الثالث عشر الميلادي). ومن أهم هذه المواقع نذكر: خربة النحاس ووادي الغوير وتل وادي فينان ووادي فينان ٤ وخربة حمرا إفدان ووادي خالد على الضفة الشرقية للوادي.

منظر عام من الجو لوادي فينان

ويذكر العالم الألماني أندرياس هاوبتمان الذي عمل في المنطقة في ثمانينات القرن الماضي أنه يقدر وزن خبث النحاس المنتشر فوق سطح المنطقة بحوالي ١٥٠ وحتى ٢٠٠ ألف طن.

خبث النحاس على سطح خربة النحاس

وجـدت مـن خـلال تواجـدي فـي وادي فينـان بأنـه منطقـة هادئـة وجميلـة ومعزولـة عـن ضوضـاء العالـم الحديـث بسـبب الصخـور المرتفعـة التـي تحيـط بجانبيـه، وقلـة عـدد سـاكني البلـدة الذيـن يمارسـون الزراعـة وقليـل منهـم مـن يمـارس تربيـة الحيوانـات. وقـد يعتقـد الزائـر للمـكان أن مـا هـو سـائد حالياً كان هكـذا علـى طـوال الدهـر، لا بـل علـى العكـس فقـد وفـرت الطبيعـة لسـكان المنطقـة كل مقومـات الحيـاة، إذ أن مقومـات الحيـاة مـن خامـات الأدوات الصوانيـة والنحاسـية، والتربـة الصالحـة للزراعـة ومصـادر الميـاه الدائمـة متوفـرة فـي الـوادي. كمـا دلـت الأبحـاث الأثريـة التـي جـرت فـي المنطقـة أن الانسـان وصـل إليهـا قبـل حوالـي نصـف مليـون سـنة، ومنـذ ذلـك الوقـت طـوّر سـكان المنطقـة طبيعـة حياتهـم مـن الاعتمـاد علـى الصيـد والجمـع إلـى التعديـن الصناعـي، فتجمـع النـاس بـادئ الأمـر فـي مخيمـات تطـورت إلـى بلـدات واسـعة المسـاحة.

منظر عام لوادي فينان (تصوير زيدان كفافي ٧/ ٣/ ٢٠٢٠)

لذا، وبناء على ما يتوفر من معلومات فإنه من المؤكد أن منطقة وادي فينان لم تكن في يوم من الأيام معزولة عن محيطها، بل كانت على تواصل مع مناطق بعيدة جداً.

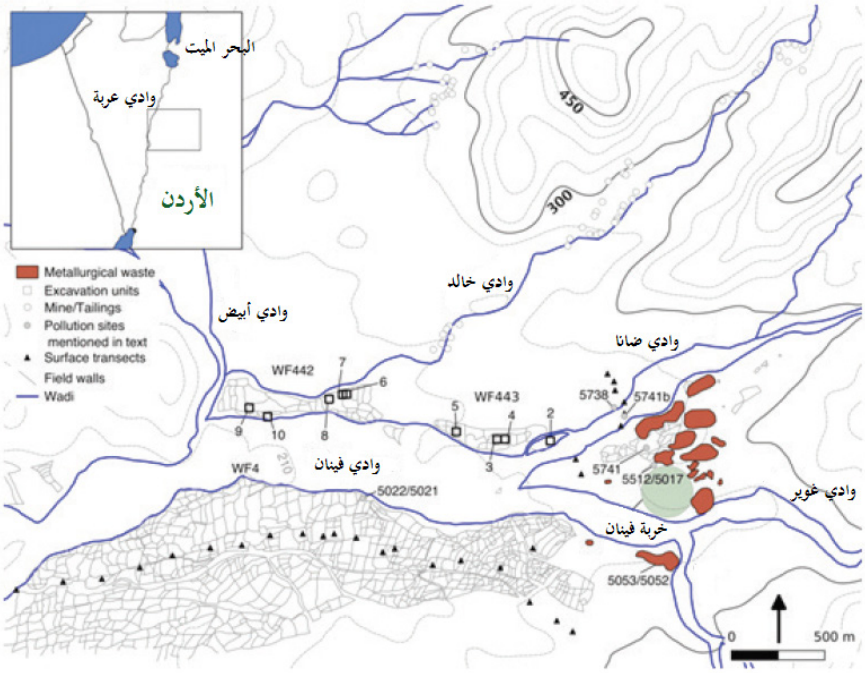

خارطة توضح الأودية المحيطة بوادي فينان

تتصل منطقة وادي فينان جغرافياً بعدد من الأودية الأخرى، نذكر منها: وادي الأبيض، وادي خالد، وادي ضانا، ووادي الغوير. وقد عثر في هذه الأودية على أدوات صوانية تعود للعصر الحجري القديم، وبناء على شكلها قرر المتخصصون أنها من النوع الذي يعود لقبل نصف مليون سنة، كما تعرف الباحثون على موقع في الكثبان الرملية الواقعة الى الجنوب من فينان ويسمى «برقة» على أدوات صوانية تؤكد على أن الناس كانوا في المنطقة في الفترة بين حوالي ٢٠٠٠٠ إلى ١١٥٠٠ سنة من الوقت الحاضر، ويظهر أن هذه المنطقة كانت مليئة بالمستنقعات مما ساعد على

وجـود الميـاه العذبـة والنباتـات والحيوانـات الصالحـة لـلأكل. ويظهـر أن النـاس يأتـون إلـى المنطقـة فـي بعـض فتـرات السـنة، إذ بنـوا لأنفسـهم عرائـش يـأوون إليهـا عنـد الحاجـة، وصنعـوا لأنفسـهم الجلـود، والخـرز والسـلال.

وادي فينان ١٦: لاحظ إعادة بناء كوخ أو عريشة من الألف التاسع قبل الميلاد

ومع توصل الناس لمعرفة الزراعة قبل حوالي ١١ ألف سنة، تغيرت طبيعة الحياة الإنسانية من حيث الاستقرار في أماكن ثابتة، والتخصص في أكل أنواع معينة من النباتات والحيوانات، وتصنيع أوان وأدوات تتوائم وطبيعة حياته الجديدة. وكانت هذه التغيرات الحياتية متوازية مع ظهور معتقدات وعادات اجتماعية جديدة، يمكن للزائر ملاحظتها في عدد من المواقع الأثرية هناك، مثل: وادي فينان ١٦ والغوير. فقد سكن الموقع الأول خلال الفترة بين حوالي ١٢٠٠٠ إلى ١٠٢٠٠ سنة من الوقت الحاضر، وبنى الناس لأنفسهم بيوتاً بيضاوية الشكل مستخدمين الطين والقش في بنائها. ولا يزال بعض الناس الذين يربون الأغنام يرجعون إلى نفس المكان وقد بنوا لحيواناتهم حظائر هناك.

منظر عام لموقع وادي فينان ١٦ وقد احتلته خيمة وصيرة حيوانات في الوقت الحاضر

وأما موقع الغوير فقد بني في منطقة ليست ببعيدة عن موقع وادي فينان ١٦ قبل حوالي ٩٠٠٠ سنة من الوقت الحاضر، ولكنه يختلف عنه من ناحية أن المباني كانت جميعها مبنية من الحجارة وفوق سطح الأرض، كما اعتمد سكانها على الزراعة وتدجين الحيوانات. وهذا يدل على تنظيم اجتماعي، ونشوء الملكيات الخاصة في المجتمع.

منظر عام للعمارة في موقع الغوير وتؤرخ لقبل تسعة آلاف عام

وبقي الناس يسكنون وادي فينان خلال الألف السادس قبل الميلاد، إذ كشف النقاب في موقع «تل وادي فينان» الواقع على الطرف الجنوبي للوادي عن بيوت مستطيلة الشكل مبنية من الحجارة الغفل لها مصاطب من الطين المرصوص، كما عثر فيها على أوان فخارية استخدمها سكانه في حياتهم اليومية. كذلك وجدت أدوات حجرية تحمل على أطرافها آثار لخامات النحاس. وربما تكون هذه هي الحواولات الأولى لصهر النحاس وتصنيع أدوات بسيطة منه. ويظهر أن التل كان مأهولاً بالسكان الذين مارسوا الزراعة وتربية الحيوانات خلال الفترة بين حوالي ٨٥٠٠ وحتى ٧٠٠٠ سنة من الوقت الحاضر.

تبع العصر الحجري الحديث معرفة الناس في وادي عربة بشكل عام ووادي فينان بشكل خاص تعدين النحاس وصهره وطرقه، وبالتالي معرفة استخدام الأدوات المعدنية في الحياة الزراعية، وكان هذا في حوالي ٤٥٠٠ قبل الميلاد. كما ظهرت أشكال جديدة من الأواني الفخارية. وكانت خامات النحاس، خاصة في المرحلة التالية للعصر الحجري النحاسي، تستخرج للتصدير وتنقل إلى مناطق مختلفة مثل وادي إفدان وبئر السبع ليتم صهرها وتشكيلها هناك.

كذلك يلاحظ الزائر تناثر الكثير من الصخور البازلتية على سطح الأرض، كما يحمل بعضها نقوشاً ورسومات حيوانية مثل الماعز الجبلي والجمال، وفي قليل من الحالات لأشخاص يركبون الحيوانات. ويعتقد الباحثون أن معظم هذه الحجارة قد نقشت خلال العصر البرونزي المبكر (حوالي ٣٦٠٠ - ٢٠٠٠ قبل الميلاد).

تغيرت أحوال بلاد الشرق الأدنى القديم خلال النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد، إذ تم اختراع الكتابة في وادي الرافدين ووادي النيل، كما انتقل الناس للمدينة بعد تأسيس المدن، وهذا أدى بالتالي إلى ظهور دول المدن، أي أن كل مدينة شكلت وحدة سياسية بنفسها. ومن المعلوم أن موقع بلاد الشام المتوسط بين هاتين المنطقتين جعلها مطمعاً لهما، وباعتقادنا أن منطقة وادي عربة ككل، تعرضت لغزوات فرعونية مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد، أي بعد وحدة الوجهين القبلي والبحري في وادي النيل وتأسيس الأسرات فيها. إضافة لهذا، فقد تواصلت منطقة حنوبي بلاد الشام مع منطقة الدلتا المصرية بشكل خاص عن طريق التجارة، وربما كانت خامات النحاس هي الأساس.

يعتقد الآثاريون الذين عملوا ولا زالوا يعملون في وادي فينان بأن هذه المنطقة قد شهدت خلال الفترة بين حوالي ٣٠٠٠ - ٢٢٠٠ قبل الميلاد تزايداً في عدد السكان، مما أدى إلى ظهور مدن جديدة في منطقة الأغوار

الجنوبية ووادي عربة، مثل، باب الذراع والنميرة، وموقع خربة فينان (موقع رقم ٨) المتمركز في منطقة التقاء وادي فينان مع واديي الغوير وضانا. وبعد فترة انقطاع سكاني عاد الناس إلى الخربة مع بداية العصور الحديدية مع نهاية الألف الثاني قبل الميلاد.

منظر عام لخربة فينان

ويظهر أن الأحوال المناخية كانت رطبة خلال بداية الألف الثالث قبل الميلاد، وتطور أساليب الري من بناء سدود وقنوات وبرك مائية، وبناء المصاطب الزراعية؛ ساعد على زيادة في الإنتاج الزراعي. إن زيادة الإنتاج الزراعي وإضافة لممارسة تعدين النحاس انعكس إيجابياً على مجتمع وادي فينان وأدى إلى زيادة في النمو السكاني هناك. ولم يخل الأمر من وجود مجتمعات رعوية عاشت جنباً إلى جنب مع المجتمعات الزراعية والصناعية. لا بد أن هذا التنوع في الأنماط الاقتصادية، والاختلاف في نمط الاستيطان بين المدينة والقرية والمخيم في المنطقة أدى إلى ظهور زعامات سياسية نظمت العلاقة التي سادت بين سكان وادي فينان في هذه الفترة.

نتيجة للدراسات الميدانية الأثرية التي شملت وادي فينان ومحيطه من الأودية الأخرى ظهر بأنه وخلال النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد تراجعت المساحات الزراعية في وادي فينان، في حين أصبح هناك توسع في تعدين النحاس، وفي التبادل التجاري مع المناطق المجاورة. لكن، وعلى الرغم من هذا، فقد انتقل الثقل ومركز إنتاج النحاس من وادي فينان إلى وادي فيدان المجاور، وأصبح موقع «خربة حمرا إفدان» مركزاً صناعياً لصناعة النحاس. حيث كشف هناك عن عدد أماكن التعدين، والأفران، وقوالب صب النحاس لتشكيل أدوات وأوان.

يعتقد العلماء أن المنطقة قد تعرضت خلال الفترة بين حوالي ٢٠٠٠ - ١٢٠٠ قبل الميلاد إلى تحولات مناخية، إذ ساد جفاف أدى إلى تراجع المساحات المزروعة. كذلك فإن قطع أشجار المنطقة لاستخدامها للحرق من أجل صهر خامات النحاس، وربما التلوث البيئي الناتج عن صهر النحاس؛ كلها عوامل أجبرت سكان الوادي إلى هجره إلى مناطق أخرى، فكان وادي إفدان هو الوجهة التالية. وأصبح البدو في المناطق الجبلية المحيطة يأتون إلى وادي فينان في فترات معينة من السنة، فقط.

مع نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول قبل الميلاد تشكلت في الأردن دول العمونيين والمؤآبيين والأدوميين، وأصبحت فينان خلال هذه الفترة جزءاً من مملكة أدوم وربما عاصمتها، والمركز الأهم في صناعة النحاس في جنوبي بلاد الشام. ولاحظ الباحثون في دراسة النحاس من وادي فينان أن زيادة الطلب على الفحم اللازم لعملية صهر خامات النحاس أدت إلى الجور في استحطاب شجر البلوط والعرعر، والتحول إلى استخدام أشجار الطلح والطرفا والشجيرات الشوكية. وأخذت صناعة النحاس بالتراجع ومارس الناس نمطاً اقتصادياً يجمع بين تربية الأغنام والماعز وزراعة الحبوب. ويعتقد أنه نتيجة لهذا التراجع انتقل مركز الثقل الأدومي من فينان إلى بصيرا بالقرب من مدينة الطفيلة الحالية.

تم الكشف في منطقة وادي إفدان (موقع رقم ٤٠) عن مقبرة تعود للعصر الحديدي فيها حوالي ٣٥٠٠ قبر. وتكون كل قبر من حفرة أحيطت جدرانها بالحجارة يوضع المتوفى بداخلها، ثم يتم تسقيفها بشبائح حجرية تعلوها طبقة من الطين لعدم تسرب التراب لداخلها، فتصبح على شكل صندوق حجري ويبنى حول القبر صف من الحجارة بشكل دائري بني في وسطه شاهد حجري بازلتي.

خلال النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد دخل اليونان بلاد الشام وسيطروا عسكرياً على مناطق واسعة منها، وظهر في نفس الوقت الأنباط العرب الذين دخلوا أدوم تدريجياً من شمالي الجزيرة العربية حسب رأي بعض العلماء، علماً أننا نعتقد أنهم من سلالة الأدوميين وأنهم أصلاء في المنطقة. اتخذ الأنباط من موقع البترا الحالي «رقمو» عاصمة لهم، وكانوا قوة تجارية وزراعية هامة في المنطقة، وأبدعوا في استخدام أنظمة ري متعددة، وسكوا النقود الخاصة بهم، وأبدعوا في نحت عمائرهم في الصخور الرملية. وكان للأنباط حضور في وادي فينان إذ عثر على خزان ماء نبطي (موقع ٢٤) مبنى على ضفة وادي الغوير في المنطقة المقابلة لخربة فينان.

خزان ماء نبطي في وادي فينان

كما لوحظ وجود قناة ربما كانت ترتبط مع الخزان ، إذ كانت تسقط منها المياه من على ارتفاع خمسة أمتار على عنفات متصلة بطاحونة من خلال نفق، ويعتقد أن هذا المجمع البنائي نبطي في أصله. إذ أن الطاحونه تعتمد في تزويدها بالمياه على خزان الماء النبطي.

الطاحونه النبطية

على أية حال، أكد إرنست أكسل كناوف أن الإدوميين هم من استغلوا مناجم النحاس في هذه المنطقة إبّان السيطرة الآشورية والبابلية الحديثة والفارسية على المنطقة (حوالي ٨٠٠ - ٤٠٠ قبل الميلاد). وتم تسجيل عدد من المواقع مثل، خربة الغوير وخربة الجارية وخربة النحاس

وخربة فينان، وجميعها تعود للمرحلة الأخيرة من العصر الحديدي الثاني (القرن السابع قبل الميلاد) ، حسب تأريخ هارت للفخار الإدومي؛ بينما نجد أن نلسون غلوك يؤرخ نفس الفخار للفترة بين القرنين الثالث عشر والتاسع قبل الميلاد، أي الفترة التي تطابق ما ذكرته التوراة.

ويظهر من خلال القطع الأثرية التي عثر عليها في منطقة فينان، بأن العرب الأنباط أسسوا فيها عدداً من القرى، علماً أنه لا توجد مؤشرات على أنهم استغلوا وجود مناجم النحاس من الفترات السابقة. وبقي الحال على ما هو عليه حتى مجئ الرومان الذين اتبعوا تقنيات وأساليب جديدة في التعدين، وبنوا أفراناً لصهر النحاس متقدمة على أفران الفترات السابقة لهم. كما بنى الأنباط في موقع «تل الميراد» قلعة نبطية أقيمت في الجهة الجنوبية لوادي فينان. ويستطيع الشخص الوصول إلى المباني المحصنة والمقامة فوق قمة التل عن طريق درج محفور في الصخر الطبيعي، ويبدو أن هذا المكان كان حامية عسكرية نبطية.

سقطت الدولة النبطية العربية على يد الإمبراطور الروماني تراجان في عام ١٠٦ ميلادية، فانتقلت صناعة النحاس في وادي فينان إلى السلطة الجديدة. وبناء عليه اختلفت طرق التنجيم من تعدد المنجمين واستقلاليتهم والتي كانت سائدة في الفترات السابقة إلى تمركز التنجيم والتصنيع في يد السلطة المركزية الرومية. وأصبحت خربة فينان «فينو» هي مركز السلطة المركزية، فعادت صناعة النحاس للتوسع وفاقت في مستوياتها ما كان جارياً في العصر الحديدي. وقد أشرف على هذه الصناعة موظفون روم، وساعدهم على ضبط الأمور حامية عسكرية رومية. كما ارتبط وادي فينان بطرق تجارية جديدة، خاصة مع منطقة ساحل البحر الأبيض المتوسط، فبنيت طريق تجارية تربط فينان بمدينة غزة. كما بنيت قنوات المياه والقناطر المائية وبرك التخزين لوجود حاجة ماسة للمياه نتيجة للاستخدامات الصناعية والزراعية والإنسانية.

ويظهر أنه ومع ظهور المسيحية، قرر الرومان إرسال من يعتنق هذه الديانة للعمل في صهر النحاس في فينان. أما في الفترة البيزنطية (حوالي ٣٢٤- ٦٣٦ ميلادية) أصبحت فينان ذات أهمية كبرى لدى البيزنطيين، حيث أصبحت واحدة من الأبرشيات في المنطقة، كذلك عثر في المنطقة على ثلاث كنائس وديـر وقبور لها شواهد منقوشة تؤرخ للفترة بين القرنين الخامس والسابع الميلاديين. ومع نهاية القرن الخامس الميلادي ونتيجة للتلوث البيئي الكبير في المنطقة وصلت عملية إنتاج النحاس إلى أدنى مستوياتها، وربما تسبب أحد الفيضانات العنيفة في الأودية إلى وضع نهاية لهذه الصناعة.

لكن، تبين للآثاريين بأن آخر استخراج لخامات النحاس من فينان كان في القرن الثالث عشر الميلادي، أي نهاية حكم الأيوبيين وبداية الحكم المملوكي. لكن تم العثور في وادي فينان على خان مبني في خربة فينان ويعتقد أنه يعود للفترات الإسلامية المبكرة. وهذا يعني أن المنطقة استخدمت طريقاً تجارياً خلال هذه الفترة.

قدرت الحكومة الأردنية أهمية وادي فينان للسياحة الأردنية، فبنت هناك نزلاً ومتحفاً أثرياً واستراحة سياحية، والطرق الإسفلتية التي تقود إلى بلدة فينان. ويتكون البناء من طابقين، الأول من قاعة تتوسطها طاولة عليها مجسم للمنطقة بأوديتها والمواقع الأثرية فيها. أما الطابق الثاني فيتكون من عدد من غرف النوم والمختبرات.

كل هذه الأمور تدعونا لتوجيه دعوة لكم لزيارة هذه المنطقة الغنية بآثارها ومناظرها الطبيعية الخلابة. إن معرفة الوطن لا تكون فقط من خلال الكتب وإنما أيضاً بزيارتها والتعرف عليها عن قرب. فأهلاً وسهلاً بكم في وادي فينان.

استراحة وادي فينان السياحية (تصوير زيدان كفافي)

متحف فينان